

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
جامعة محمد بوضياف المسيلة



محاضرات حول التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي
ماستر 2 تاريخ الغرب الإسلامي

المدرسة الشاذلية: أقطابها و تأثيراتها

(13 م - 19)

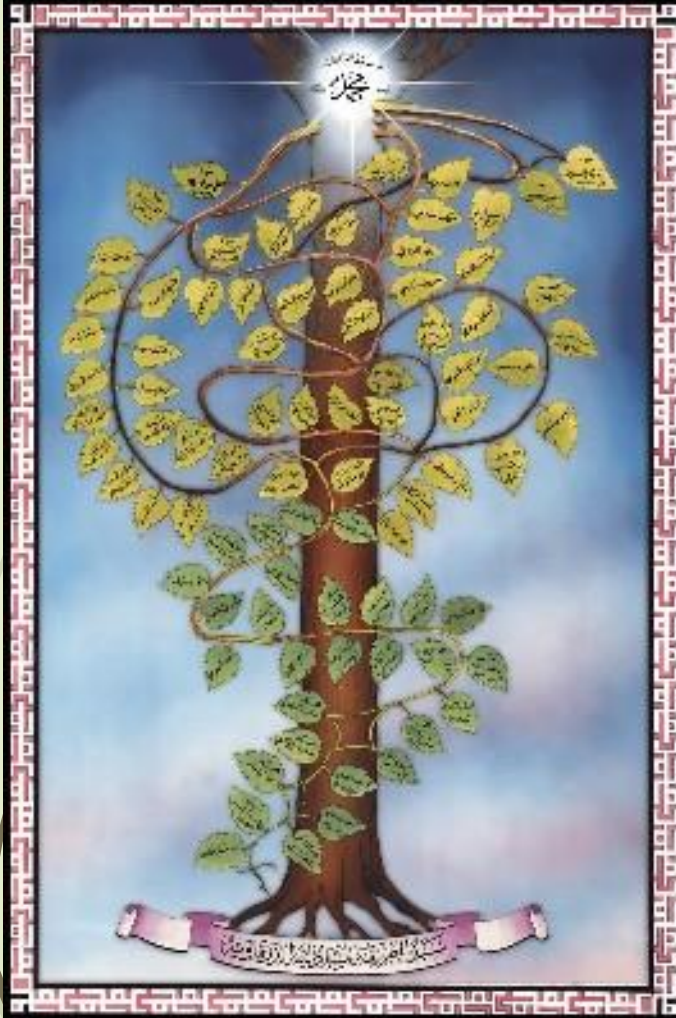
جمع کرده جناب خواجہ بزرگ صاحب عین الدین چشتی قدس
الہدیرہ العسریز

مطبع محمد و واقع لکھنؤ
دری حاسر

في هذه المحاضرة سنحاول عرض ابعاد الحركة الشاذلية و نفوذها عبر مراحل تاريخية طويلة المدى (13-19م) عرف فيها الغرب الاسلامي تطورات عميقة . كما سنحاول معاينة اهم الاساطير الفاعلة في تاريخ الحركة الصوفية والشيوخ و العلماء الذين اثروا في عقيدتها؟ و ما سرُّ تأثيرها في التصوف و انتشارها عبر العالم الاسلامي و المسيحي كمدرسة رائدة في المشرق و المغرب الاسلاميين؟

► تعتبر الطريقة الشاذلية احدى المحطات الكبرى في تاريخ حركة الزهد و التصوف و لعل اهمها في تاريخ الطرق الاسلامية و ابرزها في الحراك الذي عرفه العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر .

نشأت في بلاد المغرب في القرن الثالث عشر، انتشرت معالمها في معظم أنحاء الشرق الإسلامي عن طريق الإسكندرية، التي كانت بمثابة ملتقى طرق الزهد و التصوف بين الغرب و الشرق. سعى أبو الحسن الشاذلي (ت1258/656هـ) عبر سياحة طويلة قادتته الى المشرق العربي و بلاد الحجاز في البحث عن قطب عصره، و عند عودته من الاسكندرية، وجد غير بعيد ، في الريف المغربي ، في قرية العلم بالعرائش، الشيخ عبد السلام بن مشيش (1228/ 625) الذي اصبح شيخه. و يعتبر هذا الاخير من اتباع القطب العارف بالله أبي مدين شعيب (ت1198/594هـ) دفين العباد تلمسان. لهذا يعتبره البعض ابن مشيش هو رابطة عقدة سلسلة الشاذلية، التي سرعان ما أصبح لها نفوذ في المشرق و المغرب الاسلاميين من المغرب الاقصى الى تونس و منه الى مصر عبر الاسكندرية و صحراء سيناء.



➤ بدأ الحسن الشاذلي مساره في التصوف انطلاقا من خلوته التي ترتفع فوق هضبة جبل زغوان، بين تونس والقيروان، بالقرب من قبيلة الشذيلة التي ينتمي اليها. بعد أن تتلمذ على الشيخ عبد السلام ابن ميثيش (559هـ - 626 هـ / 1163 - 1228م) الذي ناوله الورد وقواعد التوحيد، حيث اعتكف للعبادة بزغوان قرابة قرية الشاذلة. فوسم بالشاذلي نسبة الى القرية التي ينتمي اليها. لكن الشيخ ابو الحسن اراد ان يربط هذه التسمية بمفهوم الشدّ أي القبض و البسط. "مثلما جاء في فصوص الحكم لابن عربي": شدّ (اي اعرض على الدنيا : شدّ على نفسه ليبسط روحه"له هو (الله الواحد الاحد").

➤ سرعان ما داع صيت أبو الحسن الشاذلي في انحاء الغرب الاسلامي و بلاد المشرق، و اصبحت له سمعة رائجة في تونس و بلاد المغرب قاطبة ، مما ادى إلى ظهور بعض المناوئين لنهجه الرباني ، و إدانته من قبل بعض فقهاء المالكية في تونس و اتهامه بالشدّة.

في سنة م 1244م/641هـ ترك الشيخ الشاذلي افريقيا ليرحل الى مصر و يستقر بالإسكندرية، احدى عواصم الزهد و الورع آنذاك .فبقي يتردد بين مصر و البقاع المقدسة عبر صحراء سيناء و البحر الاحمر، حيث صار له بهذه الاقاليم اتباع :بين صحراء مصر و السودان و شبه الجزيرة العربية . كانت الإسكندرية بالفعل ملتقى طرق الغرب الإسلامي مع المشرق التلم الفاصل و الثغر، معقل الجهاد الذي يلتقي به زهاد المشرق و المغرب، و يرباط فيه صف واحد ضد الفرنجة .كما انها تمثل مرحلة مهمة من الرحلة الطويلة لركب الحج المغاربي، كانت مرتع العلماء و مستقر الكثير الصوفيين .

ساهم ابو الحسن الشاذلي في الجهاد ضد الصليبيين على راس جيش من اتباعه و مردييه .فترك الإسكندرية سنة 1250م، التي كان معتكفا بها للمشاركة في معركة المنصورة ، ضد حملة سانت لويس الصليبية.

بعد ان سقى ببركته وادي النيل و نشر ورده عبر هذه المسالك ، وافته المنية و هو على طريق هجرته الى الله ، على احدى شواطئ البحر الأحمر المطل على ينبع، معبر اجداده الاشراف و اجداد شيخه عبد السلام ابن مشيش و طريقهم الى الساقية الحمراء و الدرع و فاس مشاتل الشريفي في الغرب الاسلامي .تجدر الإشارة هنا الى ان اقطاب التصوف في المغرب و افريقيا كلهم من اصول شريفية .ينتسبون الى النسب الحسنى العلوي عن طريق فاطمة .هل كان ذلك صدفة؟

من تعاليم نهج ابو الحسن الشاذلي التجرد من الذات السفلى والتركيز على الله وحده من خلال الذكر و الزهد في الدنيا) في الملابس ، لبس المرقعة ..العروض عن الشهوة و الانقطاع عن الدنيا و ذكر "الله "دون انقطاع و الخلوة لوجهه (و الترويج السنني للاسلام .خلاف لبعض الصوفية المنقبضين الذين يعيشون منزويين في زوايا ، كان الشيخ الحسن الشاذلي ينصح اتباعه بالاندماج في المجتمع و اتباع السلف الصالح و السنة)المحمدية .(يمثل هذا احد الشروط الاساسية في الاقتضاء بطريقته .هذه الصفة تربط المتصوفة من اهل الحقيقة و الشريعة باهل السنة، و تجمع بين الكثير من الطرق المترسخة في اوساط العلماء مثل : الشاذلية والنقشبندية و الزروقيةالتي تتحدر منها .اذن كان الشاذلي حريصًا اكثر على السنة اكثر منه من "الاحوال "القدسية و "التجربة الروحية. "

الاعلام الاساطير المؤسسة للمدرسة الشاذلية :

علاقة الشاذلي ابن عربي:

لعل اول الروابط التي تربط الاكبرية لابن عربي بالشاذلية هو المجال الجغرافي، حيث ان خليفة ابو الحسن ، مثل ابن عربي كيلاهما ولد في مرسية ، في إسبانيا المسلمة ، والشاذلي بالقرب من سبتة. كذلك المسار الروحي للشيخا الشاذلية أبو عطاء السكندراني و أبو العباس مرسي و ابن عربي ، الثلاثة قاموا بسياحة الى الشرق الأوسط و الأدنى .كما يعتبر أبو مدين شعيب المتوفي (594/1198)، شيخهم باعتباره شيخ سلسلة الغرب الإسلامي. علاوة على ذلك ، فإن الشيخ ابن عربي الأندلسي والشاذلي معاصران، وفاة الثاني ثمانية عشر عامًا بعد الأول .اما عن احتمال لقاء الشيخان الذي طرحه البعض، فيبدو انه غير محتمل .من ناحية أخرى ، يشهد ابن عطاء الله في كتابه "لطائف المنن "، بعد استقراره في مصر ، انه كان على اتصال بتلاميذ ابن عربي . كما انه التقى بصدر الدين القناوي احد شيوخ الاكبرية و ابو الحسن الشاذلي .

اما عن تأثير الشاذلي بابن عربي ، و مثلما شرحنا ذلك بالمحاضرة الخاصة "باتجاهات و اعلام التصوف في الاندلس " ، فان النهج الاكبري و شيوخ ابن عربي روحانيون اكثر منهم علماء ، بعضهم ليس له اثارا مكتوبة و ليس لهم باع في الشريعة ، بالقدر ما لهم تجربة ، فهم يبحثون في ذات الوجود و الاتصال من خلال الخلوة والذكر و الصوم . كذلك ابو الحسن الشاذلي ليس له اثار مكتوبة بقدر ما له سلوك وورد صوفي خاص يرتبط بنهج السلف المحمدي . و من اهم الشيوخ الاكبرين الذين تأثر بهم الشيخ الشاذلي نذكر أبو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي الذي اشتهر باسم سيدي بوسعيد ، ولد سنة 1156م بمدينة باجة و توفي سنة 1230 م ، بضاحية سيدي بوسعيد (التي أصبحت تحمل اسمه كأحد اقطاب تونس) ، قرب ميناء حلق الواد و هو أحد تلاميذ الشيخ أبو مدين شعيب.

1.. أبو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي ، ولد بباجة قرب منوبة (سنة 551 هـ) وفي سنة 603 هـ قام بسياسة إلى الحج وجاور بمكة ثلاث سنين ثم رحل إلى الشام . عاد إلى تونس سنة 606 هـ وقد كان صاحب خلوة طويل القنوت كان يجتمع بالشيخ عبد العزيز المهدي دفين المرسي تونس.

ترسخت تعاليمها الصوفي في عهد خليفته (الأندلسي)، أبو العباس مرسى المتوفى 1287/637هـ، الذي كان يعترف له بالكفاءة الروحية و بحكمه. اما المصري ابن عطاء الله المتوفى سنة 1309 /708 م ، خليفته الثالث، فقد كان هو من نشر تعاليم الشاذلية، التي انتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر. له منهجًا تعليميًا يركز فيه على النهج المحمدي بالاعتماد على السنة و القرآن و اتربية الروحية للمريد.

لابن عطاء الله كتاب "لطيف المنن" الذي جاء في شكل وصية روحية، و اصبح يعتمد كاتجاه عقائدي و كمرجع لتعاليم الشاذلية التي كان لها تأثير كبير في صفوف علماء و فقهاء المغرب ، افريقيا و مصر حتى العصر العثماني، مثلما يوضح ذلك عبد الكريم الفكون القسنطيني في "منشور الهداية" كما شرحناه في كتابنا «L'Algérie mystique» ففي القرن السادس عشر، اصبح للشاذلية تأثير كبير في الطبقة المثقفة في محيط العلماء الواسع و امتد إلى أبعد من ذلك الى الفقهاء و علماء الشريعة ثم الطبقات الشعبية الدنيا في القرن 19.

حزب النبوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا اللَّهُ يَا نُورَ يَا جِقُ يَا مَبِينُ
إفح قلبي بشورك وعلمي من عليك وفهمي عنك واسمعي
منك وبصرتني بك وأسميني بشهودك وعرفني الطريق
إليك وهوتها علي بفضلك وألستني التقوى منك إنك
على كل شيء قدير اللهم اذكرني وذكّرني وتبّ عليّ وأعفّر
لي مغفرة أسمى بها كل شيء وسواك وهب لي تقواك
وأجعلني ممن يحبك ويخشاك وأجعل لي من كل هم وغم
وضيق وهوى وسهوة وخطرة وكل قضاء وأمر فرجاً
ومخرجاً أحاط عليك بجميع المعلومات وعلت قدرتك
على جميع المقدورات وجلت إرادتك أن يوافقها أو

من البداية ، في العهد الحفصي و الزياني ، بدأت الشاذلية تعرف بعض التطورات خاصة فيما يتعلق بأبعادها الروحية المتعلق بال جذب . لعل المشكل الذي نواجهها في الحركات الصوفية هو مشكلة المدى الطويل ، أي في تاريخ ديناميتها "بالنسبة للمجتمعات و طبقاته و التغيرات التي تعرفها. فبين القرنين الثالث عشر عرفت الشاذلية انتشارا كبيرا حتى بين بعض الاوساط و الشخصيات المثيرة للجدل مثل عائشة المنوبية (ت 1267) ، وأحمد بن مخلوف الشابي (1482 أو 1492) هذه الشخصيات التي عرفت اكثر نهج القداسة الذي يرتبط بنموذج الجذب الذي هو حالة روحية خاصة تقوم ممارسته على هامش الأعراف الشاذلية التي تنشر صوفية ملتزمة و متزنة.

في القرن الخامس عشر ، ظهر الشيخ الجزولي كاحد اقطاب التصوف في الغرب الاسلامي، و هو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أبو بكر الجزولي السملالي الحسني (ت 1465 م)، المعروف بالامام الجزولي أو الشيخ الجزولي، و هو من علماء مراكش المجلين آنذاك ، جمع كتاب « دلائل الخيرات و شوارق الانوار في ذكر الصلاة على النبي »، وهو كتاب للذكر يعتمد على اوارد الشاذلية لكل أيام الأسبوع له مجموعة من المدائح بالصلوات على النبي، المشهورة في مجالس الشاذلية ، و هو دليل الأعمال الصالحة (دلائل الخيرات .(من خلال البعد الكوني للرسالة المحمدية و بالصلاة على النبي ، فهو يعكس عقيدة "السنة " بالتوحيد و الصلاة على خاتم النبيين .

من اقطاب الطريقة الشاذلية نذكر ايضا أحمد الزروق (846-899هـ)، من مواليد فاس ، هو من كبار شيوخ الطريقة الشاذلية و اعلامها في القرن الرابع عشر ، كان يلقب ب "نقيب الصوفيين . "جمع بين الشريعة و الحقيقة بعد عدة رحلات الى مصر، قام برسم و ترسيخ جذور سلسلة الشاذلية في المغرب.

و أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، و هو قطب من اقطاب التصوف في العهد الزياني و أشهر مشايخ الصوفية ببلاد المغرب في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي. ساهم في نشر الطريقة و بعد ان توفي ظهرت طريقته المعروفة بالراشدية. انتسبت إليها عدة طرق صوفية من بعده أبرزها الطريقة اليوسفية والعكاكزة المثيرة للجدل بالمغرب الأقصى. كان له دور كبير في الجهاد البحري و في ترحيل الأندلسيين الى المغرب الأوسط . كما عرف بمناوئته للأمير الزياني أبو حمو الثاني الذي ابرم معاهدة صلح مع ملك ارغون . و مسانئته لآخوة بربروس في حروبهم ضد الاسبان: و هو مؤسس مدينة المليلة.

بعد ان انتشرت بين صفوف العلماء في القرنين السادس و السابع عشر، حاول بعض مشايخ الشاذلية، في القرن الثامن عشر، اعادة الطريقة الى الاصل. من خلال إصلاح روعي قبل كل شيء. يهدف تركيز على المبادئ الأساسية للطريقة، وتجريدها من الفكر النظري و هذا بالرجوع الى مبدا دعوة الحق و رفع المظالم و كسر مغارم . و هما المبدان اللتان عرفتهما الحركة الصوفية في العهد الاموي و المرابطي.

اصبحت الطريقة الدرقاوية احد فروع الشاذلية، عرفت بالثورة ضد العجم العثمانيين و المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي . يعيش اتباع الدرقاوية في حالة سياحة دائمة، حاملين عكاز و شجرة نسب و في أيديهم قرانا و مسبحة ورد كبيرة حول أعناقهم. قاوموا الوجود العثماني في بايلك الشرق و في بايلك الغرب و غرب الجزائر. لكن بعد ذلك ، أعطى الدرقاوي دفعة جديدة للشاذلية ، و انتشرت فروعها (الدرقاوية ، و التجانية و المدنية ، و الكركرية و العلوية و القيدية التي ظهرت في مستغانم...) و الياشرطية التي لا تزال إلى يومنا هذا في إندونيسيا.

و كان من دعاة هذا الإصلاح في المغرب الأوسط و الأقصى الشيخ العربي الدرقاوي (ت 1823م) صاحب الثورة الشعبية في بايلك الشرق ، التي راح ضحيتها عصمان باي الذي قتل بأولاد عوات بالقبائل الصغرى سنة 1804. يؤكد الشيخ الدرقاوي على العكوف على العبادة و قرن الجهادين جهاد الرباط و الزهد و العمل الاجتماعي من خلال اصلاح المجتمع و محاربة الحاكم المستبد.

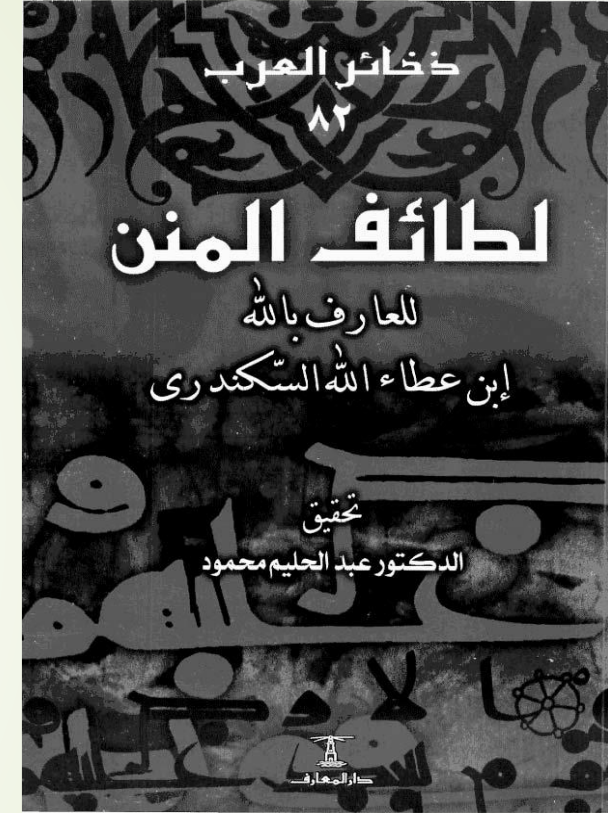
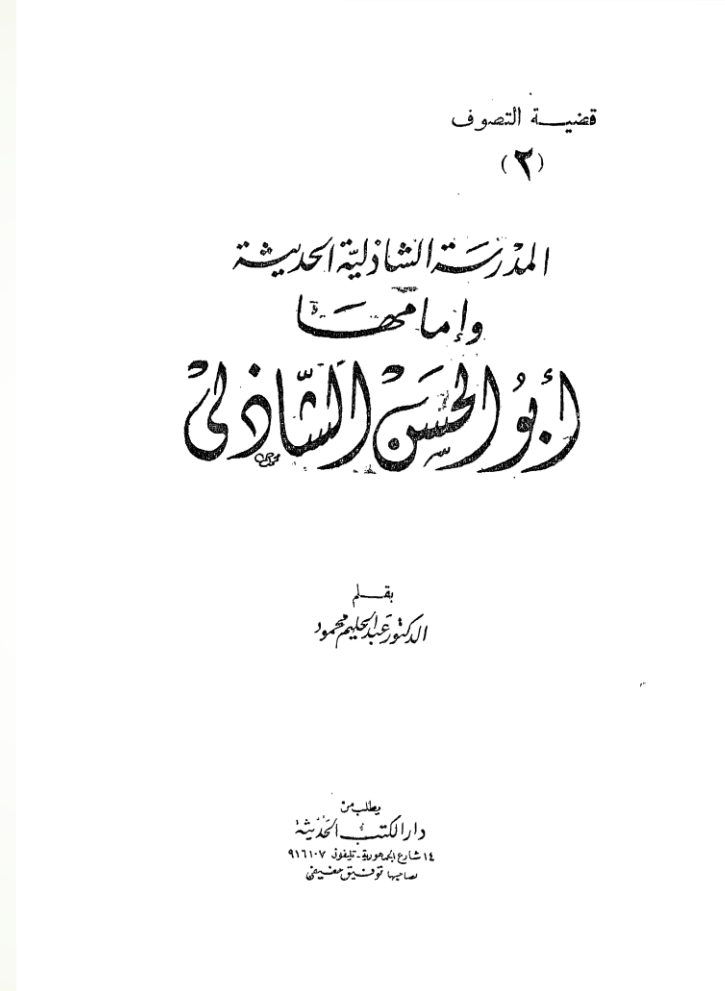
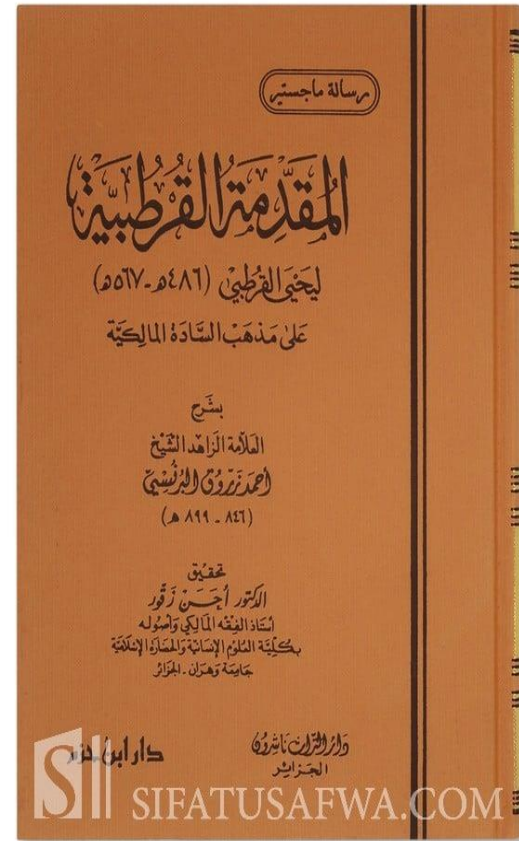
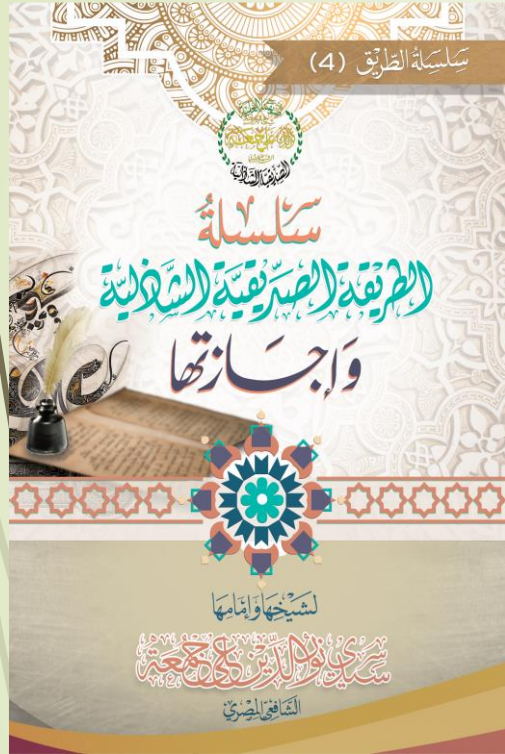
في القرن العشرين ، قام الشيخ الجزائري أحمد العلوي المتوفى عام (1934) بإصلاح الطريقة في عصره بإدانة ممارسات بعض البدع التي التصقت بها ، و ترويد المريدين بالذكر و الصلاة على النبي .انفصلت العلوية عن الشاذلية و عن الدرقاوية ، سنة 1915، لتصبح مستقلة قائمة بذاتها . حيث اصبح تأثيرها المبدئي في العديد من بلدان الشرق الأوسط، و الغرب المسيحي، فانتشرت منذ عشرينيات القرن الماضي، بين مستشرقين من اصول اوروبية مسيحية مثل فريجتوف شون Frithjof Schuon المعروف ب عيسى نور الدين احمد ، و الطبيب ماك كارتني وميشيل فالسان .كان الفيلاسوف رينيه جينون (René Guénon المتوفى في القاهرة (سنة 1951 م) نفسه شاذلياً و اليوم Eric Geoffroy الذي زار الزاوية بلقايدية في السنوات الاخيرة و الشيخ دواد غري الذي هو كذلك يتردد على الزاوية البلقايدية في وهران الى اليوم.

ساهم المستشرقون الفرنسيون بشكل كبير في نشر العقيدة الصوفية في اوساط الغرب المسيحي .على راسهم فكر روني جينو René Guénon الموجه إلى جمهور الغرب و كتبه التي تتعامل بشكل أساسي مع الميتافيزيقيا والرمزية والباطنية ونقد العالم الحديث في نطاق معالم المدرسة الشاذلية.

تتمتع الشاذلية ببعء تاريخي طويل المدى و بعالمية قطبية تعدت العالم الاسلامي ، من خلال امتدادها و انتشارها في (البلقان ، أفريقيا ، والمحيط الهندي ، وجنوب شرق آسيا ، والصين ... و في أوروبا والولايات المتحدة ، و بريطانيا حيث نجدها منتشرة بين عمال ميناء دوفر بكثرة.

كما اصبحت الشاذلية منتشرة بين الاوساط الشعبية ، حيث اصبحت تقام لها سنويا ، في تونس، منذ نهاية القرن الماضي حضرة مناسك سيدي ابو الحسن . و الحضرة الشاذلية هي عبارة عن بعض المدائح المستمدة من الاذب الصوفي و بعض الشطحات ، لا سيما في يتعلق بالجذب و النفحة و بعض الممارسات الشعبية المورثة من الممارسات المنوبية و هي سيدة تونس الشعبية مثل لالا قوريا في بجاية.

المصادر و المراجع



➤ ب. المراجع:

➤ التصوف في المغرب العربي و أفريقيا، جمع وإعداد: مازن الشريف الثقافية للنشر و التوزيع.

➤ - دو نوفو الاخوان جماعات دينية، ترجمة كمال فيلاي الشهاب 2003.

➤ اوراد الطريقة الشاذلية للأمام الحسن الشاذلي، الشيخ احمد العلي الاوراد السنية للطريقة الشاذلية

- - La sagesse des maîtres soufis : Latâ'if al-minan fî manâqib al-shaykh Abî l- 'Abbâs al-Mursî wa shaykhi-hi al-Shâdhilî Abî l-Hasan / Ibn 'Ata' Allah ; traduit de l'arabe, présenté et annoté par Eric Geoffroy, 1998
- Clayer N., Popovic A. et Zarccone T., 1998, Melâmis-Bayrâmis. Études sur trois mouvements mystiques musulmans, Istanbul, Isis.
- Gaborieau M., Popovic A. et Zarccone T., 1990, Naqshbandis. Cheminements et situation actuelle d'un ordre mystique musulman, Istanbul, ISIS.
- Popovic A. et Veinstein G., 1995, Bektachiyya, Études sur l'ordre mystique des Bektachis et les groupes relevant de Hadji Bektach, Istanbul, Isis.
- - Rachida Chih , Geoffroy Éric (dir.), Une voie soufie dans le monde: la Shâdhiliyya, Maisonneuve et Larose, Espace du temps présent, 2005, ROMM,
- p. 286-290
- Alfred Bel, les confrérie religieuse musulmanes ,
- Kamel Filali , l'Algérie mystique, Publisud Paris 2003-
- Frederick de Young , Bernd Radtke et (kamel Filali), Mysticism contested , Brill, Leiden , Boston 1999
- Louis Rinn, Marabouts et Khouan , Adolph Jordan 1884
- Emile Dermenghem. — Vies des saints musulmans. Nouvelle édition revue -et continuée, Alger, éditions Baconnier, s. d. ; in-12 de 418 p.
- Xavier Coppolani , Les confréries religieuses musulmanes, Année 1898.



البروفيسور كمال الفيلاي

<http://www.kml-filali>